كيفية تعامل المجتمعات العربية مع سمات الشباب العالمية

ورقة عمل مقدمة ضمن فعاليات مؤتمر العاملين مع الشباب

الرياض/ المملكة العربية السعودية

18_ 19/ 10/ 2019

إعداد وتقديم

يوسف سعادة

مقدمة:

الحديث عن الشباب والعالم الرقمي وثقافة الشاشة والأجهزة الذكية، وكيف تؤثر في خصائص الأجيال الصاعدة والشباب وأنماط حياتهم وتواصلهم وتفكيرهم وتكوين هوياتهم. أصبح موضوعاً عالمياً مثيراً للجدل ومتعدد الأوجه. فهي إشكالية عالمية، وليست خاصة بمجتمعاتنا فقط، مع ملاحظة أنّها في مجتمعاتنا أعقد.

أذكر عندما صدر كتاب عقول المستقبل " كيف يغير العصر الرقمي عقولنا " لريتشارد واطسون قبل 10 سنوات من كتابة هذه الورقة وتشاركت الاطلاع عليه مع تربوين آخرين. كان محور اهتمامنا هل ما يطرحه الكتاب اشكالية خاصة بالمجتمعات الغربية أم أنها قضايا عالمية، ففي ذلك الكتاب تنبأ الكاتب بكثير مما نراه اليوم في سمات الشباب التي لم نكن نلمسها عند صدوره. وفي نهاية عام 2015 صدر كتاب رصين في نفس المجال للباحثة سوزان جرينفيلد بعنوان تغيّر العقل " كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا " وأذكر حينها قدمت في إحدى الندوات عرضاً لأبرز ما جاء في الكتاب وأشرت حينها إلى أهمية أن نتحدث عن التغيرات التي ستحدث على سمات الأجيال وليس فقط على عقولهم بل وعلى مفاهيمهم وعلاقاتهم وقيمهم. هل سيكون مفهومهم لسلطة الأهل والكبار والمرجعيات التقليدية نفس مفهومنا؟ ما هي نظرتهم لمفهوم الخصوصية والاستقلالية؟ كيف ستتشكل هوياتهم في ظل تعاملهم اليومي والمنتظم مع أدوات العصر الرقمي والانترنت (محركات البحث، شبكات التواصل الاجتماعي، الألعاب الالكترونية، التطبيقات الذكية) وفي نفس الوقت أثير في تلك الندوة أسئلة مقلقة حول مدى قدرتنا كأفراد ومؤسسات على استيعاب هذا التغير وإحداث تغييرات في برمجنا وسياستنا في العمل مع هذه الفئة لنتمكن من مواكبة تأثيراتها.

خاصة أننا من الجيل الذي أطلق عليه مارك برنسكي مصطلح المهاجرون الرقميون (Digital Immigrants) أي الذين اضطروا إلى التكيف مع التكنولوجيا كبالغين ودخلت التكنولوجيا الرقمية حياتنا وتكيفنا معها بصعوبة. في حين أن هذه الأجيال يسميهم المواطنون الرقميون (Digital Native) وهم كل الذين استخدموا التكنولوجيا الحديثة منذ صغرهم، وهذا يعني أنهم ولدوا وهي موجودة في حياتهم منذ الطفولة ولم يمروا بعملية تكيف معها فهي لغتهم وعالمهم وطريقتهم في التواصل ومن خلالها يفكرون.

أظن أن هذا التقسيم يثير سؤالاً كبيراً: كيف سيتمكن المهاجرون الرقميون من إدارة العلاقة مع المواطنين الرقمين؟

هذه الورقة المقدمة في هذا المؤتمر هي محاولة لاستكشاف أبرز السمات للشباب التي نتجت عن ثورة المعلومات والعولمة الناشئة عن ثقافة الانترنت والاجهزة الرقمية الذكية. وكيف أصبحت بمثابة سمات عالمية مشتركة بين المواطنين الرقمين؟ ثم تسعى لتقديم مقترحات تساعد في إدارة العلاقة معهم ومتطلبات التغيير التي يجب القيام بها لمواكبة هذا التغير في سمات الشباب.

مدخل عام لفهم اليافعين والشباب بشكل شمولي وتكاملي:

تدعو هذه الورقة إلى مقاربة متكاملة لدراسة وفهم المراهقين والشباب ولفهم أعمق لخصائصهم واحتياجاتهم. حيث أنّ المراهقة **وتموضع الشباب في مجتمعاتنا ظاهرة مركبة ومتعددة الجوانب والوجوه**، مما يتطلب في فهمها ودراستها الاعتماد على معارف وأدوات بحث وتحليل متعددة (علم نفس النمو، وعلم النفس المعرفي، والمدرسة الإنسانية في علم النفس، وعلم النفس الإيجابي، والمنظور الاجتماعي وطبيعة التنشئة والتعليم ونظم التوجيه والتربية، والمقاربات الثقافية والحضارية، فضلاً عن حقائق البيولوجيا والتغيرات الفسيولوجية المتصلة بالمرحلة العمرية).

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار **أنّ عملية النمو تتم ضمن سياق اجتماعي ثقافي**، ولذلك لا بد من فهم هذا السياق، وهو الذي يشكل المحيط والبيئة للنمو. وهذا يؤكد أنّ بعض خصائص المراهقين وسلوكيات الشباب قد تختلف من مجتمع لآخر وثقافة لأخرى، حيث تختلف المراهقة من فرد إلى آخر، ومن بيئة جغرافية إلى أخرى، كما تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق، فهي في المجتمع البدائي تختلف عنها في المجتمع المتحضر. وكذلك تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي. كما تختلف في المجتمع المتشدد الذي يفرض كثيراً من القيود والأغلال على نشاط المراهق عنها في المجتمع الحر، الذي يُتيح للمراهق فرصاً للعمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة.

هناك العديد من المتغيرات التي تؤثر في تحديد خصائص المراهقين والمراهقات ووضع الشباب كأفراد يعيشون في مجتمع معيّن، يُمكن أن تشمل:

- متغيرات ناتجة عن الخصائص الفردية.
- متغيرات تتعلق بالخصائص الفسيولوجية العامة لهذه المرحلة.
- متغيرات تتعلق بخصائص العائلة، باعتبارها المؤسسة الأكثر أهمية التي يعيش فيها الإنسان في فترتي الطفولة والمراهقة.

- متغيرات تتعلق بالأطر الاجتماعية كالمدرسة ووسائل الإعلام وسوق العمل وشبكة المؤسسات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.
- متغيرات تتعلق بالتنظيم الاجتماعي الكلي في بعده السياسي والفكري والثقافي، والتقاليد السائدة ومساحات التفاعل والفرص المتاحة، والقيم الناظمة للحياة الاجتماعية.

مع الجزم بأنّ هناك خصائص نمائية مشتركة بين جميع المراهقين في العالم، منشأها طبيعة المرحلة العمرية (مثلا سيمر جميع المراهقين في العالم بمراحل النضج الجنسي، وجميعهم بغض النظر عن الثقافة سيطرحون على أنفسهم أسئلة تكوين الذات والهوية من أنا وهل شكلي طبيعي وما هو دوري، وكلهم سيسعى للاستقلال عن سلطة الأهل ويندمج في مجموعات أقران يؤثر ويتأثر بها،....)

ومع الجزم كذلك بأن هناك خصائص عالمية بدأت تتشكل وتبرز ليس منشأها طبيعة المرحلة العمرية أو الظروف الثقافية والاجتماعية المحلية المحيطة بالشباب، وإنما نشأت بحكم العولمة وثورة الاتصالات والعالم الرقمي وما حملته من انفتاح عالمي على الثقافات ونتيجة عمليات القولبة الثقافية والتفاعل اليومي للشباب مع منتجاتها التقنية الذكية.

أبرز الخصائص العالمية للشباب:

أولاً: الثقافة الشبابية ونمط الحياة الشبابي

- تسود بين الشريحة الشبابية المعاصرة ثقافة خاصة، ساعد على بلورتها عدة عوامل منها:

- تضخم حجم الشريحة الشبابية في العالم. الأمر الذي جعل منهم هدفاً للمؤسسات التجارية والاستهلاكية. حيث أسهمت الأنساق الاقتصادية الاستهلاكية في تعزيز تكون وبلورة المراهقين والشباب من كلا الجنسين كفئة استهلاكية، وذلك من خلال التوجه إليهم كسوق واسع من المستهلكين لأنواع معينة من السلع الخاصة بهم. كالسلع الرياضية والموسيقية والملابس والموضة والغذاء والأجهزة الإلكترونية ومنتجات الحاسوب والتقنيات المتقدمة والتطبيقات والإعلام الجماهيري المعولم....

- هذا بالإضافة إلى ما فرضته العولمة من وجود مزج واندماج وانصهار للثقافات مع بعضها، حيث اقترب العالم من بعضه كثيراً في السنوات الأخيرة، نتيجة الثورة الهائلة في وسائل الاتصال والنقل والمواصلات والكمبيوتر وشبكة الإنترنت، ووسائل الإعلام. التي ساهمت في تهديم الحواجز بين الثقافات والمجتمعات، وخلقت إمكانية عالية لانتقال الثقافة من مجتمع إلى آخر.

- وأصبح أبرز ما يميز ثقافة الشباب راهناً الانخراط في التعامل مع تقنيات الاتصال والإعلام الاجتماعي والشراكة في الاهتمامات الموسيقية والفنية والخروج إلى أماكن السهر. وأصبح في كل مجتمع ثقافة خاصة تعبر عن الشباب تتمثل في:

- موسيقى وأنواع من الغناء والفنون الخاصة بهم.
- أماكن تجمعات خاصة بهم، مطاعم، مقاهي،....
- التواصل الإلكتروني يشغل حيزاً كبيراً من حياتهم.
- ملابس وأزياء وموضة وأفلام وبرامج ومواقع إلكترونية خاصة بهم.

- لغة ومصطلحات خاصة يستخدمونها فيما بينهم.
- اهتمام بمراكز الرياضة وكمال الأجسام وبناء العضلات، أحياناً بغرض جلب الانتباه،...

- وقد حدث تبدل في أذواق الشباب عموماً سواء في مجال الغذاء أو الأزياء أو تمضية أوقات الفراغ، مما عزز لديهم نمط السلوك الاستهلاكي، المتمثل بالوجبات السريعة، والأكل في المطاعم والمقاهي بصورة منتظمة، وانتشار قيمة الكسب السريع، ومسايرة الموضة العالمية في الملابس والأكل وقصات الشعر، وسماع أنواع معينة من الموسيقى والأغاني، واستخدام المفردات الأجنبية والتي أصبحت بمثابة قاموس خاص بهم.

ضمن هذا السياق بدأ يتشكل فئة من اليافعين والشباب هويتهم هي في الاستهلاك وارتياد أماكن اللهو والمتعة ومتابعة آخر صرعات الموضة والأنشطة عامة.

" إنهم يستيقظون على صوت المنبه من الهاتف المحمول، يتصفحون الأخبار والشائعات على الجهاز نفسه، يذهبون لمدارسهم أو أعمالهم بمركبات مزودة بنظام ترفيه يعتمد على الشاشات، وفي المساء يتواصلون مع أصدقائهم عن طريق الشاشات. وربما يجلسون في نهاية الأمر للاسترخاء مع الانترنت"

دان بلوم/ كتاب جيل الشاشة

- تنمي الوسائل التكنولوجية الحديثة لدى اليافعين والشباب الرغبة في التجاوب السريع والمريح فتلك الخاصية المميزة للتقنية الرقمية والتي توفر الإجابات السريعة والحلول الفورية الجاهزة بنقرة واحدة تجعله أكثر نبذاً للحياة الطبيعية.
- يتعرض الشباب في جميع أنحاء العالم لعمليات قولبة ووضعهم في إطار كوني موحد، بدءاً من المظهر الخارجي ووصولاً إلى أسلوب العيش والاهتمامات والتطلعات، فهم في كل أنحاء العالم بصدد التشابه فيما بينهم بالزي واللباس وقصات الشعر، والاهتمامات الشبابية التي باتت تتشابه في كثير من مجتمعات الشباب على اختلاف أماكنهم والتي نراها في الموسيقى

الصاخبة، الأطعمة السريعة، المشروبات والأغذية المقوية وصرعاتها الدعائية وربطها بالقوة والحيوية والجسم المثالي، ومتابعة رياضات معينة مثل سباق السيارات وكرة القدم التي أصبح لها عالمها المهيمن على ثقافة الشباب وكل أبطالها ورموزها وطقوسها وشاراتها. إضافة إلى هوس التنحيف لدى المراهقات. وتقديم صور النجوم والأبطال وحياة بعض المشاهير من المراهقين باعتبارها المثل الأعلى الجديد لعالمهم.

- باختصار يتعرضون لعملية إحلال ثقافة معولمة محل الثقافات المحلية، وتقديم مرجعيات ثقافية معولمة. يتعرض الشباب من كلا الجنسين بصورة ممنهجة ومنتظمة ومتواترة بطريقة جذابة وشيقة لعملية غزو إعلاني وإعلامي عبر أدوات العالم الرقمي والشاشات الذكية مستغلة رغبة الشباب بالتمايز والبحث عن الجديد باستمرار. بحيث أصبحوا سوقاً استهلاكية موحدة يسهل استهدافها. مما يسهم في أن تتشكل هويتهم ضمن ثقافة وقيم الاستهلاك على حساب قيم العمل المنتج.
- شباب اليوم هم مواطنون رقميون لا يعرفون أي سبيل آخر للحياة غير ثقافة الانترنت ووجودهم اليومي متمركز حول الهاتف الذكي والحاسوب المحمول والآيباد. وهذا التمركز حول التكنولوجيا الرقمية والعيش فيها بداية من التواصل الاجتماعي إلى التسوق والتعليم واللهو، غيّر ليس فقط أنماط حياتهم اليومية وطرق تواصلهم وتفكيرهم بل تعدى ذلك إلى تشكيل هوياتهم وأفكارهم الداخلية. ووفر لهم مساحة كبيرة ليتحرروا من قيود الأعراف المحلية والسلطة الهرمية.
- وبدأ يتشكل لديهم مفاهيم خاصة حول الاستقلالية والخصوصية والسلطة، تختلف عن مفاهيم الأجيال السابقة، مما يسهم حالياً في تعميق الفجوة بين الأجيال. هذه الفجوة المرشحة لمزيد من التعمق نتيجة الزيادة المذهلة في وتيرة ظهور الأجهزة والتطبيقات الرقمية المتزايدة الذكاء (الفجوة الرقمية بين الأجيال).

نظراً لعدم وجود دراسات عربية عميقة، استرشد بدراسة أمريكية استعرضت خلاصتها الأكاديمية سوزان جرينفلد في كتابها تغير العقل؛ تشير إلى أنّ 3 فقط من أصل 220 طالباً كانت لديهم القدرة على إغلاق موبايلاتهم لمدة 72 ساعة.

- بدأ يظهر في حياة فئة من الشباب نتيجة نمط الحياة المتمركز على الشاشة، ظاهرة الحياة الخاملة، مثل؛ عدم ممارسة الرياضة أو اللعب في الهواء الطلق. وهو ما بات يعرف باضطراب نقص الطبيعة (Nature deficit disorder) مما قد يسبب ضعفاً في قدراتهم على مواجهة التحديات التي سيواجهونها في حياتهم الواقعية.

وتتخوف دراسات رصينة، أشارت إليها سوزان جرينفيلد وأخرى لريتشارد واطسون وهوارد جاردنر وكاثرين أدر وتيريزا باركر إلى أنّ معظم التطبيقات تُحّول الشباب إلى مجموعات من البشر الكسالى، وذلك عندما يسمحون للتطبيقات أنْ تقيد اختياراتهم وأهدافهم أو تحددها. عندها يصبحون عبيداً لتلك التطبيقات وتابعين لها.

التركيز على الفعل أكثر من العيش:

تلاشت اللحظات التي كنا نقعد فيها بمفردنا مع أفكارنا سواء كنا ننتظر موعداً في عيادة طبيب، أو ننتقل إلى عملنا بالقطار أو المترو، وحل محلها الاستماع القصري للموسيقى أو إرسال رسائل نصية أو ممارسة الألعاب على أجهزتنا الرقمية، وكثيراً ما نفعل كل تلك الأشياء في آنٍ واحد. فنكتب تغريداتنا حول الأحداث في وقت تعرضنا لها. ونرد على رسالة بريدية لأحد الأشخاص ونحن نتحدث إلى آخر، وهي عادة شائعة بين الشباب.

بمعنى آخر فإننا نركز على الفعل أكثر من العيش. فنظراً لميل الشباب إلى الاتصال الظاهري الثابت مع الآخرين، فإنهم لا يمنحون أنفسهم الوقت والمكان لمعرفة أفكارهم ورغباتهم وبالتالي فهم معرضون للخطر بسبب افتقارهم لمعرفة الذات، فهم يعرفون التطبيقات ولا يعرفون أنفسهم.

عن جيل التطبيقات الإلكترونية/ هوارد جاردنر وكاتي ديفيس

ثانياً: تكوين الهوية الذاتية:

- يُشكل العالم الافتراضي والتكنولوجيا الرقمية وعصر الشاشة وثقافة الانترنت المفتوحة التي تسمح بحوار الأفكار وتبادلها والاختيار منها كقاعدة معلومات للفكر الانساني. عالماً مثالياً لليافعين والشباب من خلاله يحققون قدراً كبيراً من الاستقلالية عن السلطات المختلفة.

كما توفر لهم فرص تقمص أكثر من شخصية في نفس الوقت، مما يداعب عالمهم الخيالي والوهمي ويمنحهم القدرة على تبني الأدوار التي ربما يعجزون عن تحقيقها على أرض الواقع. ومما يشجعهم أكثر أنّ بعض اليافعين في هذه المرحلة العمرية قد تسيطر عليهم مشاعر اليأس والإحباط، فيلجأون إلى التكنولوجيا التي تشكل ملاذاً للهروب من الواقع وللترويح عن النفس.

- إنهم يكونون هوياتهم ليس من خلال التفاعل المباشر مع محيطهم فحسب كما الأجيال السابقة، ولكن عبر العالم الافتراضي أيضاً. مما يمكنهم من العيش ضمن هويات متعددة من خلال العالم الافتراضي، والتي غالباً ما تتعارض وتختلف عن الهوية التي يعيشها الشاب في حياته الواقعية.

إنّهم يرون الفضاء الإلكتروني باعتباره قابلاً للفصل عن العالم الحقيقي وينظرون إليه كمكان يمكنهم فيه استكشاف جوانب من سلوكياتهم وشخصياتهم قد لا يظهرونها في الحياة الحقيقية. إنّها فرصة الحصول على هوية بديلة؛ من السهل أنْ تكون من تود أن تكون لأنه لا يعرفك أحد، وإذا لم يعجبك الموقف فبوسعك أن تنسحب ببساطة. يمكنك أنْ تقول أي شيئ، ويمكنك التحدث إلى أشخاص لا تتحدث إليهم عادة، كما يمكنك تحرير صورك حتى تبدو بشكل أفضل.

- هناك فرصة كبيرة أن يتعرض معظم الشباب أو على الأقل نسبة كبيرة منهم إلى حالة من التشوش والاضطراب في تكوين الهوية الذاتية ونظرتهم وفهمهم لذاتهم. بعضه تشوش طبيعي ناشئ عن خصائصهم النمائية، حيث مرحلة المراهقة والشباب هي مرحلة استكشاف الذات وطرح الأسئلة الوجودية من قبيل؛ من أنا ومن أكون وما هو دوري. وهناك تشوش آخر نتيجة الانفتاح على العالم وبدون سلطة ورقابة ولطبيعة خصائص التواصل الشبكي والتطبيقات، حيث يمكن للتطبيقات أن تعيق تشكيل الهوية بحيث تكون صورة رمزية أو صورة منسوخة من أو عن أي شخص آخر. خلال تفاعلهم الشبكي واستخدامهم التطبيقات يمكن لهوياتهم أن تتشكل بصورة موجهة خارجياً حيث تمنحهم التطبيقات الوقت والأدوات اللازمة لصياغة هوية جذابة من الخارج.

كما يمكن للألعاب أنْ تسهم في ذلك، فمن خلالها مثلاً يمكنهم انتحال شخصية تختلف عنهم تماماً أو في بعض الألعاب يتاح لهم تشكيل أي نوع من الشخصيات، وهم ينتقلون عبر هذه الكائنات الخيالية من خلال مواقف تنطوي على اختيارات أخلاقية وغير أخلاقية، أو عنف وعدوان ولعب أدوار، في ظل وجود أنظمة معقدة للمكافأة في صلب الألعاب، التي توفر حافزاً للاستمرار في العيش في الخيال. وقد ينغمس بعضهم لدرجة أنهم يفقدون الصلة بالعالم الحقيقي وبالزمن، وقد يطورون ارتباطاً عاطفياً بشخصياتهم.

ثالثاً: التواصل والعلاقات الاجتماعية:

- يتواصل جيل الشباب من خلال وسائل التواصل الافتراضية (شبكات التواصل الاجتماعي) أكثر بكثير من التواصل المباشر وجهاً لوجه. قد تجد لهم مئات الأصدقاء على الشبكة ومع ذلك قد لا يعرفون أبناء جيرانهم في نفس البناية.
- إنهم جيل قل توجيه الوالدين أو المرجعيات الدينية لهم. بينما زاد تلقيهم للمعلومات بدون رقابة وبدون قيود مرجعية وبدون تهيئة وتمكين لهم من مهارات التقييم والتعامل مع العالم الرقمي، ووفرت لهم التكنولوجيا الرقمية فرص التنقل عبر فضائها الشاسع بمنأى عن سلطة وتحكم الأهل.
- نشأ في حيات الشباب أنماط جديدة من القدوات والنماذج، مثل ظاهرة اليوتيوبرز (مشاهير اليوتيوب) أو مشاهير الانستغرام، وهم يلعبون دوراً في توجيه أنماط الحياة اليومية والدفع نحو الاستهلاك واهتمامات في غالبها بعيدة عن القضايا الأساسية في الحياة الواقعية (هذه الظاهرة لم تلقى على مستوى البحث التربوي العربي أي اهتمام بحثي جاد).
- أصبح لدى الشباب أنواع جديدة من مجموعات الأقران (الربع، الشلة، مجموعة الأصدقاء) وهي المجموعات الإلكترونية التي يشترك فيها شباب من ثقافات مختلفة وربما لايعرفون بعضهم شكلاً، ويتواصلون خلالها غالباً بشخصيات خاصة بهم في العالم الافتراضي ولا علاقة لها بشخصياتهم الحقيقية.

- من العلاقات الحميمية العميقة إلى العلاقات السطحية: فمن السهل الكترونياً أن نقرر ما نريد قوله ونتشارك فيه عن بعد. وبالتالي نتجنب عدم الراحة الناجمة عن رد الفعل المرتبك وغير المتوقع من الطرف الآخر الذي لا نراه ولا يرانا. إنّ بعض الشباب يعتبرون إرسال رسالة إلى شخص ما بدلاً من مكالمته هاتفياً أمراً منطقياً، لأنه أقل تتطفلاً وليس مستبعداً أن يقوموا بإنهاء علاقاتهم عبر الرسائل أو الفيسبوك بدلاً من اللقاء وجهاً لوجه.

" من المؤكد أن طبيعة البشر لم تتغير بشكل جذري على مدار التاريخ، وقطعاً لم تتغير بعد ظهور الانترنت. ولكننا نزعم أنّ هوياتنا (من نكون) وعلاقاتنا (كيف نتواصل مع بعضنا) وخيالنا (كيف نتصور المستقبل ونصنعه ونبتكره) هذه العناصر الثلاثة؛ قد خضعت لعملية إعادة تشكيل في العقدين الأخيرين بسبب تأثير التكنولوجيا عموماً، والتطبيقات الرقمية على وجه الخصوص.

هوارد جاردنر وكاتي ديفيس

كتاب جيل التطبيقات الإلكترونية.

رابعاً: التفكير والتعلّم:

- أول مكان تبحث فيه الأجيال الشابة عن أي معلومات يحتاجونها وفي أي مجال كان هو محركات البحث قبل العودة إلى الكتب أو الخبراء. ويفضلون القراءة من خلال الشاشة على القراءة من الكتب والأوراق، مع ملاحظة أن قرائتهم انتقائية وفي معظمها غير ناقدة ولا يقرؤن المحتوى بتسلسل وانتظام، وفي الغالب لا يقارنون بين المصادر المتعددة لنفس المعلومات، ويجذبهم الشكل الفني للمحتوى وكيفية تقديمه بصورة جاذبة الكترونياً مع ميلهم وتفضيلهم للمحتوى المرئي خاصة اليوتيوب.
- ثقافة الاستجابة السريعة: تطور لديهم ثقافة الاستجابة السريعة نتيجة طبيعة التواصل الشبكي وطبيعة المعرفة التي تقدم عبر العالم الافتراضي الرقمي، والتي تتسم هذه المعرفة الرقمية ب:

- ✓ أنها مشتتة ومبعثرة وفي مجملها لا تخضع لتقييم ونقد.
- ✓ تتمتع بالتدفق الكبير بما لايسع أي فرد الإحاطة بها، والتغيير السريع بما لايسمح بالعمق (وعلى رأي الدكتور نبيل علي: مسكين إنسان هذا العصر يعيش في بحر من المعلومات ويموت عطشاناً معرفياً).
- ✓ الاختزال والعزل عن السياق مما يؤدي إلى تشتت المعرفة وفصل ما هو مرتبط، وإضفاء الطابع الأحادي على المتعدد الأبعاد (إدغار موران)
- ✓ سهولة الولوج إلى المعلومات ولأي شيئ بدون قيود ومن الممكن استدعاء أي معلومة بالنقر على الماوس.

نتيجة ذلك برزت ثقافة الاستجابة السريعة المتمثلة بتشجيع التفكير السطحي الخالي من التأمل ومن الوعي بالصورة الكاملة الأكبر. والاستجابة بدون تفكير في الأشياء بالقدر اللائق. مما قد يقتل في المهد إمكانات الفهم والتأمل، وتُقلل من فرص بناء الأحكام السديدة والرؤى بعيدة المدى.

حيث تعمل الحقبة الرقمية على تقليص قدرة الأجيال على التركيز أيضاً. وتؤثر سلباً على أسلوب تفكيرهم وقدرتهم على اتخاذ القرار، فالأجهزة الرقمية تحولهم إلى مجتمع من الأذهان المشتتة ولسان حالهم يقول إذا كان بإمكاني استدعاء أي معلومة بالنقر على الماوس فلماذا أهتم بتعلم شيئ جديد.

- أبرز ما يميز خصائص تفكير جيل الشاشة:
- ✓ يفضلون العمليات المتعددة المهام أثناء استخدامهم للشاشات والأجهزة الذكية.
- ✓ تفضيل الصورة عن الكلمات.
- ✓ الاعتماد على الذاكرة الإلكترونية.
- ✓ يفضلون المواجهة الافتراضية لمناقشة أفكارهم أكثر لتجنب المواجهة المباشرة وتفضيل التعامل مع الأجهزة والتطبيقات.
- ✓ قراءة النصوص بأسلوب غير منتظم.

- ✓ يتوقعون أن تحدث الأشياء بسرعة، ومن ثم فإنهم لا يطيقون صبراً، فالمحتوى الرقمي عادة ما يكون متاحاً على نحو فوري تقريباً.

- إنهم يعيشون في عالم تحطمت فيه الحدود بين الأمكنة والفواصل بين الأزمنة، مما يضعف من قدرتهم على فهم الاختلافات عبر السياقات المكانية والزمانية وبالتالي تختل قدرتهم على إصدار أحكام منطقية. خاصة وهم يتعرضون لثقافات متعددة وقيم متضاربة. حيث يواجه الشباب تحدي القدرة على فهم العالم والتنوع الواسع الذي يتعاملون معه يومياً، وبين المحافظة على الذات. وينعكس ذلك في عدة توترات، حسب (جاك ديلور):
  - ✓ التوتر بين العالمي والمحلي.
  - ✓ التوتر بين التقاليد والحداثة.
  - ✓ التوتر بين الروحي والمادي.

الشباب العرب... استجابات متعددة لتحديات العالم الرقمي:

عند تتبع كيف يستجيب الشباب العرب (سواء كانت هذه الاستجابات مقصودة أم كرد فعل) لتحديات تعاملهم مع كم هائل من المعلومات غير دقيقة المصادر والإنفتاح الهائل على الثقافات الأخرى بلا قيود وبلا تخطيط مسبق. نستطيع أن نلحظ أكثر من استجابة ولكن يبقى أبرزها والتي يمكن لكل منا ملاحظتها في الشباب المحيطين به:

- ✓ **فئة من الشباب كان رد فعلها على شكل تحدي للمجتمع وقيمه ومعارضتها ويتجلى ذلك في حواراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، ويظهر في سلوكهم اليومي ونمط حياتهم الحقيقي.**
- ✓ **فئة تعمق لديها الشعور بالتمايز ليصل إلى حد التعصب ورفض الآخر.**
- ✓ **فئة نتيجة المقارنات تكرس لديها الشعور بالنقص والإحباط.**
- ✓ **وفئة كبيرة تأخذ دور المتفرج السلبي.**
- ✓ **وهناك فئة استجابتها أكثر ايجابية نلمسها في مجموعات شبابية تبادر وتنشط في مجالات متعددة لتحسين حياتها وحياة المجتمع من حولها مستثمرة شبكات التواصل ومعرفتهم بأدواتها.**

الاستجابة العربية بين الواقع وما ينبغي أن يكون

(الفرق بين ما نفعله وما يمكن أن نفعله يكفي لحل جميع المشاكل) **غاندي**

نظراً لانتشار ثقافة الشاشة والانترنت والعالم الرقمي والأجهزة الذكية، وظهور خصائص جديدة وتكاد تكون مشتركة بين الشباب في العالم. وبما أنه أصبح لدينا معرفة كيف تغير التكنولوجيا الرقمية والأجهزة الذكية وثقافة الشاشة عقول الأجيال وطرق تفكيرها وأنماط حياتها وعلاقاتها. وما تحمله هذه الثقافة من مزيج غير مسبوق من الفرص والتهديدات في آنٍ واحد. فقد بات من الضروري طرح التساؤلات التالية:

أي نوع من المواقف والسلوكيات الجديدة التي يمكن أن نتعامل معها كأولياء أمور ومربين ومعلمين وعاملين مع الشباب وصناع قرار وراسمي سياسات وأصحاب عمل؟

ما هو التدخل الفاعل الذي يمكن أن نقوم به؟ ماذا بوسعنا أن نفعل؟

ما مدى قدرة أنظمتنا وأقنيتنا التربوية على بناء وتنمية الإنسان القادر على الاستفادة من الفرص التي يتيحها عصر المعلومات، وفي نفس الوقت يكون قادراً على التعامل مع التحديات التي يفرضها؟

أظن أن التحدي الأكثر صعوبة لنا كمعلمين وعاملين مع الشباب وصانعي سياسات العمل الشبابي، ونحن نسعى للتفكير بهذه الأسئلة، يكمن في مدى قدرتنا على تغيير طرق تفكيرنا وإعادة تشكيل سياساتنا وبرامجنا لمواجهة التعقيد المتصاعد في حياة الشباب وظروفهم (جيل الشاشة، الجيل الرقمي، جيل التطبيقات، الأسواق المفتوحة،...) والتحولات المتسارعة واللامتوقعة واللايقينية التي يمرون بها.

استجابات الأفراد (المعلمين والمربين والأهل والعاملين مع الشباب) التي يمكن رصدها عربياً:

من خلال استعراضي لمجموعة كبيرة من المقالات التربوية، والبرامج التلفزيونية الحوارية، ومضمون فيديوهات على اليوتيوب، إضافة إلى مداخلات المشاركين في ورشات العمل التي نفذتها في دول عربية متعددة خلال السنوات الأخيرة بمشاركة العاملين مع الشباب والمعلمين والأهل. رصدت ردود الفعل بشكل عام والتي صنفتها كالتالي:

- ✓ **التشوش:** عدم القدرة على استيعاب ما يحدث، التوهان بين المنع والاستسلام لاجتياح الأجهزة الذكية لجميع مفاصل حياتنا. نتيجة التشوش أصبح لدى هذه الفئة فجوة بين ما يطلبونه من الشباب وبين ما يمارسونه. تخوف منها وإدمانها في نفس الوقت.
- ✓ **التهويل والذعر:** تضخيم المشكلة والتركيز على السلبيات وحشد نتائج الدراسات التي تؤيد ذلك بشكل انتقائي، نتيجة ذلك نلحظ على هذه الفئة إصدار الأحكام الصارمة والمتسرعة والتركيز على المنع والسيطرة.
- ✓ **التهكم والمقارنة:** نقد سلوك الأجيال الصاعدة والتهكم على أنماط حياتها التي تأثرت بالعالم الرقمي، ومقارنتها بسلوكيات الأجيال السابقة، والحديث عن الماضي وحميمية العلاقات وأنماط الحياة السابقة بشكل رومانسي. ولو كان بمقدروها لسحبت الزمان إلى الوراء.
- ✓ **عدم التدخل:** لندع الحياة تسير ولن نستطيع أن نفعل شيئاً، ولكل زمان ظروفه ومن يعيشون فيه يتكيفون وفق متطلباته. وهذه الفئة غير مدركة لحجم التهديدات والتحديات. وتركز على ايجابيات العالم الرقمي وتحشد نتائج الدراسات المؤيدة بشكل انتقائي أيضاً.
- ✓ **الإهمال:** عدم الوعي بحجم التحدي، وهذه الفئة هي تستخدم الأجهزة الذكية بشكل يومي وتأثرت أنماط حياتها نتيجة إدمانها للأجهزة الذكية، ولا يعرفون كيف وفي ماذا يستخدم الشباب الذين يتعاملون معهم هذه التقنيات.
- ✓ **الوعي غير الفاعل:** تدرك هذه الفئة حجم التهديدات والفرص التي يجلبها العصر الرقمي، ولكن لا تلمس منهم تغيير فعلي في ممارساتهم فقد يكون مدرس جامعي أو مدير برنامج شبابي ولكنه لم يقم بأي تغيير ملموس حتى على مستواه الشخصي في ممارساته وبرامجه وطرق تواصله مع الشباب.
- ✓ **الجهود المتناثرة:** استيعاب ووعي لتأثيرات التكنولوجيا الرقمية على حياتنا وكيف تؤثر على الشباب، وإدراك للفرص والتهديدات، ولكن التحرك محدود وجزئي ويغلب عليه العمل الفردي اللحظي والمتحمس.

أفكار مقترحة للتدخل عربياً بشكل يسمح لنا استثمار الفرص والتعامل الايجابي مع التهديدات:

- ✓ بداية لا يمكن إعادة الزمن إلى الوراء، نحن نتعامل مع واقع، ملخصه أنّ التكنولوجيا الرقمية وثقافة الأجهزة الذكية لم تعد خياراً. بل هي نمط حياة تفرضه التطورات العلمية والتقنية.

(يروى عن جد والدي رحمه الله أنه كان محتجاً على دخول السيارات إلى قريتنا، واعتبرها بدعة وأنها من صناعة الغرب. مات والد جدي وهو مصر على رأيه وربما السيارة الوحيدة التي ركبها هي عربة نقل الموتى، واستمرت صناعة السيارات رغم احتجاج والد جدي شديد اللهجة. وربما جدي أنا كان متأثراً بمنهج والده فقد احتج على التلفزيزن معتبراً أنه بدعة وسوف يفسد أخلاق نساء العائلة، وأيضاً مات جدي وتطورت صناعة التلفزيون حتى وصلنا البث الرقمي المفتوح. أخشى أن بعضنا لا زال يتعامل مع العالم الرقمي من منطق جدي رحمه الله).

- ✓ ولنتفق أيضاً على أنّ الفجوة بين الأجيال ليست وليدة اللحظة، وإنْ كان للعالم الرقمي دور في تعميقها. أُنظر في المقولات التالية وتأملها جيداً:

"" لقد بلغ عالمُنا مرحلةً حرجةً: فالأولاد لا يصغون إلى أهلهم، لا شكّ أنّ نهاية العالم قد أصبحت قريبة""

"" هذه الشبيبة فاسدة في صميمها، إنّ شُبان اليوم كُسالى ولن يشبهوا أبداً شباب الأيام الغابرة، إنّ شُبان اليوم أعجز مِنْ أنْ يحافظوا على ثقافتنا""

هذه العبارات ليست لآباء أو معلمين يعيشون في واقعنا، كما قد نظن للوهلة الأولى. إنّها تعود لقرون قبل الميلاد؛ فالأولى تعود إلى 2000 سنة قبل الميلاد لكاهن مصري، وأما الثانية فهي نص منقوش على آجر في آثار بابل ويعود إلى 1000 سنة قبل الميلاد.

يبدو بعد التأمل أنّ مشكلة الفجوة بين جيل الكبار سواء كانوا آباء وأمهات أم معلمين ومربين، ليست مرتبطة بزمن دون آخر، وأنّها ليست وليدة التغيرات في نمط الحياة المعاصرة فحسب، بقدر ما هي تعبير عن نمطين وعالمين مختلفين من التفكير، نمط الشباب الذي يحلم وينطلق بلا قيود، له هواجسه وأحلامه وتطلعاته ونمط سلوك وثقافة، ونمط الكبار الذين يختلف عنه في التفكير والسلوك والثقافة.

- ✓ نحن بحاجة لأطر ومنهجيات جديدة تتخلص من جمود برامج ومشروعات التنمية التقليدية والنمطية، وتتسم بمرونة أعلى، واستجابة أكبر لتطلعات الشباب ومبادراتهم. فلم تعد مشاريع وبرامج الخدمات التي تعمل على تلبية احتياجات الشباب والاستجابة لمشكلاتهم بكافية لتأهيل الشباب من مواجهة تحديات الحياة.

يحتاج الشباب إلى ما هو أكثر من الخدمات التي تسد احتياجاتهم، فهم يتطلعون إلى الفرص التي تساعدهم على إطلاق ما هو كامن داخلهم من طاقات وقدرات، كما ينتظرون الدعم الذي يمكنهم من أن يشاركوا بفعالية في بناء مجتمعاتهم عبر مبادراتهم.

- ✓ يحتاج الشباب في هذه المرحلة العمرية إلى فرص للمبادرة والانخراط في تجارب وخبرات غنية ومتنوعة لاستكشاف الحياة، واكتساب المهارات وتنمية مواهب وتعلم قيم لا يمكن أن يتعلموها من خلال الكتب، وإنّما من خلال التفاعل الحقيقي في الحياة الواقعية، ومن خلال مشروعات تتيح لهم التعلّم من خلال الممارسة والتطبيق.
- ✓ يجب أن نركز على تنمية المهارات والقدرات وإطلاق الطاقات الحية عند الشباب، بدلاً من التركيز على الوقاية من المخاطر وحل المشكلات. واكتشاف الايجابيات وأوجه الاقتدار التي لديهم وتنمية امكانياتهم من خلال مشاريع حقيقية تتحدى قدراتهم وتصقلها، **بدلاً من التركيز على أوجه المرض والمشكلات والقصور.**

دائماً في مقابل أوجه الاضطراب والقصور والنقص هناك جوانب الصحة وإمكانات الاقتدار. وفي مقابل التشاؤم واليأس هناك التفاؤل والأمل الصانع للمصير. وهذا يتطلب العمل على تنمية القدرات والإمكانات وإفساح المجال أمام الإيجابيات التي تُعد الفرص للمبادرات والمشاركة الفاعلة أحد أهم آلياتها.

وإعادة الاعتبار لمفهوم تقدير وتحقيق الذات كمفهوم محوري في حياة الإنسان، حيث يسعى الإنسان منذ أن يولد إلى أن يموت إلى تحقيق ذاته من خلال إنجازات ذات قيمة له وللمحيط من حوله.

وأنّ الصحة النفسية للشباب مرتبطة إلى حد كبير بمدى قدرته على ذلك، وأنّ الكثير من المشكلات السلوكية والاضطرابات تنشأ كرد فعل لإخفاقه في تحقيق ذاته.

- ✓ **الشباب فرص وموارد وطاقات إيجابية؛** لأنفسهم ولمجتمعاتهم. وليسوا أزمات ومشكلات ومصادر للتوتر والاضطرابات. المراهقة مرحلة التفتح على الحياة وليس مشكلة وأزمة. والشباب ذوات فاعلة وثروة يجب الاستثمار في بناء قدراتها، والاعتماد عليها كشرط ضروري لإحداث أي تغيير اجتماعي منشود.
- ✓ **كل الشباب لديهم قدرات وإمكانات كامنة؛** جميع الشباب لديهم عناصر قوة، وقدرات وإمكانات كامنة لم يكتشوفها ولم يطلقوها بعد، قدرات وإمكانات تجعل منهم شركاء فاعلين في تنمية أنفسهم وبناء مجتمعاتهم التي يعيشون فيها. لكل شاب قيمة وكل شاب يستطيع أن يساهم في تنمية مجتمعه. كل شاب له أهمية، كل شاب له دور مهم يقوم به، كل شاب يُمكن أن يُحدث فرقاً في مكان ما أو على فئة ما. وفي إطار ذلك ننظر إلى الشباب كأصحاب قدرات وإمكانات حتى وإن كانت ما تزال كامنة داخلهم. وعلى السياقات المحيطة بالشباب خلق الفرص التي تساعدهم على اكتشاف أنفسهم وإطلاق تلك القدرات والامكانات الكامنة، وتفعيل قدرات الشباب للمبادرة والسعي للقيام بأدوار تنموية، وأن تمكنهم من توظيف مالديهم من قدرات وإمكانات، بحيث يتمكنون من التأثير في حاضرهم وصناعة مستقبلهم.

من	إلى
الشباب مشكلة وأزمة وتوتر	**الشباب مرحلة العطاء والانتاج**
الشباب عنصر توتر واضطراب	**الشباب مورد وطاقة ايجابية**
الوصاية	**الرعاية**
التهميش	**المشاركة والتمكين**
التشكيل	**التنمية وبناء القدرات**
المراقبة الصارمة	**الحرية المسؤولة**
عدم الثقة بقدراتهم	**الايمان بقدراتهم**
الجهل بعالمهم وخصائصهم	**وعي وتفهم ايجابي للمرحلة العمرية**
القمع وفرض الرأي	**الحوار وتعزيز الرأي**
الشباب سلبي ومتلقي للخدمة	**الشاب فاعل ومشارك وإيجابي**

- ✓ **من الحماية الزائدة إلى الحرية المسؤولة:** لم تعد سياسات الحماية من خلال المنع مجدية. وثبت أن تدريب الشـــباب من مرحلة مبكرة على ممارســـة حرية الاختيار والتفكير مع تحمل المســـؤولية أجدى على المدى البعيد وأكثر ملائمة لطبيعة خصائص الشباب العالمية. يجب أن يصبح ذلك سياسة عامة في برامجنا وأن ندرب الأهل والمعلمين والعاملين مع الشباب على كيفية تنمية الحرية المسؤولة والاستقلالية عند الشباب.

قبل وضـــع تعليمات الاســـتخدام الآمن أو برامج الحماية والرقابة علينا أولاً تعليم الأجيال الصاعدة كيفية السباحة والإبحار في بحر الانترنت ومهارات العالم الرقمي.

(لا يكفي في بركة الســـباحة وضـــع التعليمات، ولافتات التحذير، وتعيين منقذ، وتوفير أنواع خاصـة من النهايات والحواف الآمنة. ولكن علينا قبل كل شـيئ تعليم الأطفال كيفية السـباحة) تغير العقل نقلاً عن تانيا بايرون.

- ✓ **توفير البيئات التمكينية في البيت والمدرسة والجامعة والمركز الشبابي:** وما يتطلبه ذلك من إعادة تأهيل للعاملين مع الشـــباب، وتطوير معايير للمراكز الشـــبابية وممارســات تجعل من البيئات التي يتعامل معها الشـباب تمكينية وجاذبة وصـديقة لحقوقهم.
- ✓ **القيام بتغييرات جذرية في نظم التعليم المدرســـي والجامعي؛** لمواكبة مقتضـــيات ومتطلبات ثورة التكنولوجيا الرقمية والمعلومات والاتصـالات. إنّ الحديث عن تطوير التعليم والتجديد في نظم التربية لم يعد خياراً، بل هو ضرورة ملحة، لا تقبل التأجيل، حتى لا نجد أنفسـنا أمام واقع تربوي لم نختره أو نرسـم صـورته بأنفسـنا. حيث أنّ تكاليف وتبعات العجز في المبادرة للإصـــلاح والتقاعس عن الإقدام لاتخاذ قرارات جريئة في اللحظة الراهنة، سوف يفوق بمضاعفاته وتبعاته متطلبات تحملها الآن.

– تأهيل المدرسين بمهارات التعلم الرقمي، والتعلم النشط، والتعلم من خلال المشاريع وفنيات توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم، والبحث الالكتروني، وغيرها من الكفايات التي يتطلبها التغير في طبيعة المعرفة ومصادرها.

– إنّ بعض المفاهيم القاصـــرة للتعليم والتي تختزلـه في عمليـة نقل المعلومـات والخبرات من المعلم إلى المتعلم، تجعل المتعلم ســـلبياً. وهذا مبنيٌ على افتراض أنّ المعلم هو الخبير العارف وعلى المتعلم أن يتقبل ما يقوله دون أي تشكيك أو رفض. إنّ هذا المفهوم لم يعد قادراً على تلبية ما يُراد من التعليم في عصـــر المعرفة، الذي

يتطلب من المتعلم أن يكون عنصراً ايجابياً ويشكل محور العملية التعلّمية وأن يكون مشـــاركاً فعالاً فيها " جعل المتعلم يتعلم مدى الحياة ". فالواقع المعاصـــر بتحدياته وفرصـــه يفرض علينا الاهتمام بتربية المهارات الحياتية والقيادية وتنمية التفكير الابتكاري ومهارات الريادة ومجالاتها المتعددة؛ ريادة الأعمال والريادة الاجتماعية والريادة العلمية، حتى يكون بمقدور الطالب كمواطن مســـؤول من التعامل مع التحديات التي يفرضـــها الواقع واســـتثمار الفرص التي يتيحها. يجب أن يكون ما يتعلمه الطلبة من معارف وقيم ومهارات يلبي حاجاتهم الأســـاســـية حتى يكون بمقدورهم البقاء والعيش في مجتمعهم، والمشـــاركة الفاعلة فيه، والمبادرة إلى العمل على تغيير وتحسين ظروف حياتهم، على نحوٍ يُحقق لهم حياةً أفضل، ونماءً إنسانياً أوســع وأغنى. ويُعدهم للحياة في هذا العالم المترابط الشـديد التغيّر، وللمشـاركة في تخطيط مســـتقبله وتغييره نحو الأفضـــل، نحو حياة قائمة على العدل والمشـــاركة والحرية والكرامة الإنســانية. وعلى التعليم أن يُعزّز ثقة الطلبة بأنفســهم وفي قدراتهم وفي أنّ بمقدورهم أن يُحدثوا تغييراً ايجابياً في بيئاتهم.

– متعلمون يطلقون طاقاتهم النفسية والذهنية في أنشطة استكشافية، استقصائية، يوظفون فيها مهاراتهم في العالم الرقمي، يلعبون فيها الدور النشـــط المبادر، لكي يبحروا في قواعد المعلومات، ويحســـنوا التوجه في هذا المحيط انطلاقاً من اتقان تحديد أهدافه المعرفية، وتحديد مجال الإبحار والتعامل مع الكم الهائل من البيانات والمعلومات والرسوم والصور كي يفرزها ويحللها وصولاً إلى اختيار حاجته منها.

– ففي ظل التقدم السريع ودخول عصر المعلومات وما أحدثته ثورة الاتصالات من انفجار معلوماتي كبير، أصـبح من الصـعوبة بمكان على الإنسـان اسـتيعاب كل المعلومات المتوافرة ودراستها والاستفادة منها بأفضل صورة ممكنة، مما يخلق تحدياً أمام الأفراد والمجتمعات في مدى قدرتهم على تطوير الأدوات والمهارات الملائمة لجمع ومعالجة وتوظيف وإدارة طوفان المعلومات بطرق حكيمة ورشـــيدة، فالتنافس في عالم اليوم يأخذ بعداً مختلفاً مرتبطاً بالقدرة على الابتكار وإنتاج المعلومة وكيفية استثمارها وتوظيفها في المجال والوقت الصحيح .

وفي عصـر المعلوماتية ومجتمع المعرفة لم تعد مهمة التعليم تنحصـر في تحصـيل المادة التعليمية والمعرفة الأكاديمية، بل تنمية مهارات الحصـــول على المعلومات

وتوظيفها وتوليد المعارف الجديدة، وربطها بما ســـبقها، وتمكين المتعلم من فرز وتقييم مـا يتلقـاه من أفكـار ومعلومـات، وهو مـا نطلق عليـه فن اقتنـاء المعرفـة وملاحقتها، وتقييمها، وتوظيفها .... وصولاً إلى القدرة على إنتاجها .

– ونحن نتوجه نحو الإصــلاح والتطوير التربوي، يجب أن نفكر ملياً بالأسـئلة التي تثيرها هذه العملية، مثل: كيف نجعل نظامنا التعليمي مهيئاً ومســـتعداً لمواجهة تحديات الحاضـر والمسـتقبل؟ ما هي الاسـتراتيجيات والسـياسـات التي ينبغي تبنيها وســـلوكها لمعالجة الفجوات بين مخرجات التعليم وبين حاجات مجتمعاتنا التنموية؟ كيف نجعل من مخرجات التعليم المدرســـي مدخلات ذات نوعية جيدة في التعليم الجـامعي؟ كيف نوظف ونعكس مفـاهيم التربيـة للحيـاة، التربيـة للعمـل، التربيـة للمواطنـة، التربية للتنمية، التربية للمســـتقبل، التربية للريادة والابتكار، في نظامنا التعليمي؟ ما هي سـمات وملامح الشـخصـية التي نرغب تنميتها في أبنائنا الطلبة؟ كيف نوظف جميع المدخلات والعمليات التربوية (السـياسـات، المناهج، المعلمون، اسـتراتيجيات التعليم، البيئة الصـفية، مصـادر التعلّم، اسـاليب التقويم التربوي،...) للوصول إلى هذه الشخصية؟..... وغيرها من الأسئلة المحورية.

- ✓ **تأسـيس مختبر لدراسـة التفاعل الإنسـاني الافتراضـي،** على غرار تجربة جامعة سـتانفورد (Stanford University) حيث يدرس هذا المختبر كيف تؤثر الأنشـطة والتفاعلات على الانترنت على الحياة الحقيقية.
- ✓ **تعزيز ودعم القيم والتقاليد الأسـرية** والمفاهيم الأصـيلة مثل الترابط الأسـري وصـلة الرحم، والأنشـطة الأسـرية وحفز الشـباب للمشـاركة فيها: أتيح لي قبل 20 سـنة من كتابـة هذه الورقـة أن ارافق خبيرة دوليـة مهمـة من المعهد الكـاريبي لتنميـة الطفولـة والأســـرة في زيارة لبعض الدول العربية، وفي نهاية البرنامج البحثي الذي قامت به سألتها عن أهم نصيحة تقدمها لنا كمجتمعات مسلمة وعربية فكانت المفاجأة لي : " **عليكم بالمحافظة على دور الأسـرة وترابطها فهي أقوى نقطة قوة لديكم، وسـتشـعرون بأهميتها أكثر في المســتقبل هي ملاذكم الآمن في ظل التغيرات الســريعة التي تجتاح العالم نتيجة ثورة المعلومات والتي ستفرز أنماط حياة جديدة " جانيت براون**
- ✓ **من ثقافة الاسـتجابة السـريعة إلى ثقافة التأمل:** تحدثنا في الورقة سـابقاً عن كيف أصـبح لدى الشـباب اسـتجابة سـريعة خالية من التفكير العميق. وهذا يتطلب تدريب الشباب على مهارات جديدة مثل القراءة التأملية عبر الشاشـة ومهارات التفكير الناقد

من خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. و**تطوير في برامج المهارات الحياتية** لتشـــمل مهارات التفكير العميق في العصـــر الرقمي، مهارات القدرة على فهم العالم المتنوع الواســـع مع المحافظة على الذات، العيش بهوية إنســـانية لا تتعارض مع هوياتنا المحلية والدينية، مستفيدين من تجربتنا الحضارية التاريخية في الانفتاح على الأفكار وتبادلها والتمييز والاختيار بينها. والتركيز على القيم والمهارات التي تعزز ثقافة الانتاج وتحمل المســـؤولية الذاتية والاجتماعية للحد من ثقافة الاســـتهلاك والسلبية واللافاعلية الاجتماعية.

- ✓ **إعادة الأولوية لمهارات التعلم الذاتي المستمر مدى الحياة وتعلم كيف تتعلم:** حتى يتمكن الشـباب من مواكبة التغير السـريع بالمعلومات وتطوير مهاراتهم ذاتياً حسـب احتياجات ومتطلبات أسـواق العمل. وهذه المهارات تتناسـب مع طبيعة الخصـائص الجديدة للشباب. وسوف تسهم في التعامل الايجابي مع العالم الرقمي.
- ✓ **توظيف واســـتثمار قدراتهم في التعامل مع العالم الرقمي** في الدراســـة والبحث ومشـــاريع منتجة، وتأســـيس قنوات هادفة خاصـــة بهم، وتوظيف قدرتهم الهائلة في التواصـــل الشـــبكي لخدمة قضـــايا تنموية واجتماعية وتوعوية، وإدارة المحتوى الالكتروني الهادف، وممارسة هواياتهم ونشر إبداعاتهم وابتكارتهم من خلال منصات هم يديرونها ويطورون محتواها. وقد يصـــبحون هم المرجع والخبراء في ذلك للأهل وحتى للمعلمين في هذا المجال.
- ✓ **الاستثمار في برامج التوعية والتدريب التي تسلح الشباب من مرحلة مبكرة بأدوات القوة المعرفية (** مهارات البحث والاســـتقصـــاء والتقييم والنقد والابداع وتوظيف المعلومات والمعارف،.... **) والقوة الأخلاقية (** الوازع الأخلاقي والحصـــانة الروحية والقيمية **) ومهارات العالم الرقمي (** البحث الالكتروني، والتوظيف الايجابي والحماية الذاتية، وتفعيل شـــبكات التواصـــل والتأثير من خلالها، ومهارات إعداد اليوتيوب والمواقع واســـتخدام محركات البحث وتقييم التطبيقات، والوعي النقدي لما نشـــاهد، والمسؤولية الأخلاقية في استخدام الانترنت،...). وخلق شغف مبكر لديهم في متعة البحث والتقصي والاطلاع العلمي.
- ✓ **مواجهة اضطراب نقص الطبيعة:** من خلال تكثيف الأنشطة الخارجية الممتعة وكافة أشكال الرياضـات كمكون أسـاسـي في برامج الأسـرة والشـباب والمدارس والجامعات،

وأنشـــطة التفاعل مع البيئة الطبيعية وملتقيات الشـــباب في أماكن خارجية وجولات اكتشف بيئة وطنك ومشاريع تدفعهم لبذل الجهد الجسدي في البيئة الطبيعية.

- ✓ **اســتثمار ظاهرة اليوتيوبرز ومشــاهير شــبكات التواصــل الاجتماعي:** البحث عن نماذج ايجابية وتشـجيعها، مسـاندة الشـباب المبادرين والمبتكرين وتدريبهم لاسـتثمار هذه الأدوات.
- ✓ **الاعتراف بـالتغير في نمـاذج جمـاعات الأقران:** تفهم الأنمـاط الجديـدة لمجموعـات الأقران وتدريب الشـــباب من مرحلة مبكرة على الانخراط الآمن فيها واهمية أن لا يكتفي الشباب بهذا النوع من المجموعات في العالم الافتراضي.
- ✓ **اجتناب سـلوك التهكم والنقد المسـتمر للشـباب في تعاملهم مع التكنولوجيا:** حيث أثبت هذا التصرف نتائج سلبية وزيادة حجم الفجوة وقطع التواصل معهم.
- ✓ **دعم مشـــاريع شـــبابية ومبادرات الكترونية يقودها الشـــباب:** مثل حملات توعية الكترونية، أفضـل قناة يوتيوب، تأسـيس منصـات شـبابية تعليمية وعلمية وترفيهية آمنة، أفضل تطبيقات، مشاريع بحثية، ....
- ✓ **تأسيس شركات استثمار اجتماعي:** تختص بتطوير نماذج عمل لمشاريع الكترونية تحل مشـاكل اجتماعية وبعائد مالي، مثل تطبيقات تعليمية مثلاً وغيرها. أو أسـواق الكترونية خيرية، ...
- ✓ **تطوير محتوى مادة علم نفس المراهقة ومواد العمل مع الشـباب في كليات الخدمة الاجتماعية** لتستوعب هذا التغير الذي يحدث في عالم الشباب.
- ✓ **الحد من الفجوة الرقمية:** من خلال تمكين المعلمين واسـاتذة الجامعات من مهارات العالم الرقمي، وكيفية استيعاب طرق الأجيال الشابة في التعلم والتواصل والتفكير.
- ✓ **تطبيق برامج الحد من إدمان الانترنت:** وهي برامج لها أهداف وأدوات خاصة تساعد الشـــباب على تخفيف اســـتخدام الانترنت. و**تطبيق برنامج الحمية الرقمية:** برنامج للاســـتخدام الرشـــيق للتكنولوجيا للوقاية من الوصـــول إلى الإدمان أو الاســـتخدام المؤذي.

المراجع:

أهم المراجع التي استفادت منها هذه الورقة:

- دليل نوافذ العمل مع الشباب، يوسف سعادة، 2017، مبادرة شباب مجتمعي.
- تقارير الشـباب في العالم من 2005 الى 2018 ، المجلس الاقتصـادي والاجتماعي، الأمم المتحدة.
- كتاب المراهقة تلك الأعوام المثيرة، مصطفى حجازي، ورشة الموارد العربية.
- كتاب جيل التطبيقات الالكترونية، هوارد جاردنر وكاتي ديفيس.
- كتاب أزمة اللاتواصل، كاثرين أدر وتيريزا باركر.
- كتاب عقول المستقبل، ريتشارد واطسون، 2010.
- كتاب تغير العقل، سوزان جرينفيلد، 2015.
- أوراق عمل وتقارير مهنية أعدها معد هذه الورقة وقدمها في أكثر من بلد عربي خلال السنوات العشر الماضية.